(المستوى الدلالي)

للسياق أثر كبير في تحديد المعنى، إذ لا تتحدد قيمة أي عنصر لفظي إلا من خلال ما يحيط به من ألفاظ، فلا يمكن فهم أية كلمة بمعزل عن سياق الكلمات الأخرى التي تحدد معناها. لذا لا قيمة للكلمات ولا للعبارات بعيداً عن سياقها.

لذا يرى دي سوسير أن السياق يتركب من وحدتين متتاليتين فأكثر، وأن الكلمة تكسب قيمتها من موقعها، بين ما هو سابق ولاحق بها. لكل كلمة إذن معناها الأساسي المعجمي، ومعناها السياقي، والسياق هو الذي يحدد معنى الكلمة والجملة، فالألفاظ المتعددة المعاني، لا تظهر لها دلالة سوى التي يحددها السياق. فقد يرد اللفظ الواحد في أكثر من موضع، وله في كل موضع معنى يختلف عن معناه في الموضع الآخر، والذي يعين على معرفة معانيه المختلفة هو سياق الكلام. فالتغير في الاستعمال لا يحصل في اللفظ وحده دون المعنى، ولا العكس، وإنما في كليهما معاً، إذ يتحصل **المعنى** بحكم العلاقة بين **الألفاظ** وما يجاورها. ومن هنا تتحقق النقلة من المعنى الحقيقي المعجمي إلى المعنى المجازي الذي لا يمكن فهمه، إلا من خلال سياق الكلام، لأنه يخرق المألوف والمتداول من المعنى.

والمستوى الدلالي ينتقل بالدراسة إذن إلى تناول المعاني الثانية، التي تختفي خلف المظاهر الخارجية للألفاظ، وهذه الدلالة عبّر عنها عبد القاهر الجرجاني بعبارة (المعنى) و (معنى المعنى)، فيقول: "الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل". فإن خرق قوانين السمات الأساسية، يخرج الاستعمال من معناه الأساسي (المعجمي)، إلى معناه (المجازي)، والاستعارة والمجاز يتحققان على هذا النحو، من خلال خرق قوانين الكلام الاعتيادية.

فالتغير في الاستعمال الدلالي ظاهرة طبيعية، نجدها في مباحث (المجاز)، إذ تنتقل العلامة اللغوية من مجال دلالي، إلى مجال آخر. ومن المعلوم أن المجاز نوعان: عقلي ومرسل.

في المحاضرة القادمة سأعطيكم أنموذجاً تطبيقياً على ما ورد في هذه المحاضرة.